

علي احمد باكثير: كنوز ادبية تبحث عن ناسها

تعتبر حياة الاديب الراحل علي احمد باكثير ١٩١٠ - ١٩٦٩، من أكثر حياة الادباء مأساوية ذلك انها بدأت بمأساة وانتهت بمأساة وبين المأساتين كان الصبر والتحدى والابداع في مجالات الادب المختلفة التي قلما تجتمع لاديب واحد فقد كان مبدعا في الشعر كما كان مبدعا في الرواية والمسرحية.

«المأساة الاولى»:

بدأت حياة باكثير بمأساة في موطنه الاول حضرموت حيث حورب بسبب دعوته الإصلاحية الى نيل السبع والخرافات ودعوته الى تعليم النشء بذكوره واثاله وقد جرت عليه جراته وشدته في الحق العداوات وحورب بشتى الطرق واوقفت مجلة «التهديب» التي كان من أبرز محرريها وتوالت عليه الابتلاءات والتي كان آخرها وفاة زوجته وهي في غضارة الشباب ونضارة الصبا فغادر حضرموت على السر ذلك متقلبا بالهجوم والجراح وهو دون الخامسة والعشرين من العمر وهام على وجهه في البلدان حتى استقر بعض الشيء في الحجاز وهناك غسل همومه واحزانه في تلك الرحاب الطاهرة بعكة المدينة والفرغ ما تجيش به نفسه في عطين ابيين هما من ابداع ما ترك تصويرا لحالته ومأساته وهما قصيدة «نظمام البردة» و«مسرحيته الشعرية» همام او في عاصمة الاحقاف.

ثم شد الرجال الى مصر فدخلها عام ١٩٣٤م والتحق بجامعة واستطاع ان يثبت قدميه وسط تلك الكوسمية من الادباء والمفكرين التي قلما يوجد الزمان بعثها في عصر واحد. واستطاع هذا القادم من أقصى جنوب الجزيرة العربية بطلافته الضاربة في اعماق التراث العربي وبشاعريته التي ترسم خطى امرئ القيس والمنتبسي وابي نعام ان يفتح للادب العربي فتحا جديدا بالكتابة بالشعر المرسل في اللغة العربية وهو لم يسلم بعد الا عامين في دارسة الادب الانجليزي بجامعة قواد الاول القاهرة حاليا فكان بذلك رائد الشعر المرسل في ادب العربي وان نسبت الريادة لغيره وظل الشعر فنه الاول فكتب العديد من القصائد الا انه لم يجمعها في ديوان وانما نشر بعضها في الصحف والجلسات السائدة آنذاك وما زال بعضها مخطوطا حتى الآن.

اولع باكثير بالمسرح الذي شكل جل انتاجه الادبي حيث ربت مسرحياته المطبوعة على الخمسين - فيما اعلم - بينما لم يترك سوى خمس روايات ورغم انه قد دخل الى حقل الادب المسرحي وقد سبقه اليه توفيق الحكيم بعطائه المتنوع وبالاوضاع التي القيت عليه الا ان باكثير

بقلم:

عبد الحكيم الزبيدي
العين

استطاع ان يجاري الحكيم وخلال ثلث قرن او يزيد قليلا كان الكاتبان طفرسي رهان. ١٠

المأساة الثانية

وقد تميز باكثير عن غيره من الادباء والكتاب بان كان الكاتب الوحيد الذي التزم بخط معين طوال حياته الادبية لا يحدد عنه ولا يفرض فيه وهو الالتزام بالقيم الإسلامية الاصلية. ٢٠ وقد جر عليه هذا الالتزام الكثير من العداوات والمحاربة خاصة عندما سيطرت فئة معينة على وسائل الاعلام في فترة من تاريخ مصر فكان ان شنت على باكثير حملة شرسة من التخرج تارة والاهمال للتعهد تارة اخرى، ومثعت مسرحياته من التمثيل والنشر. وهكذا بدأت مأساة باكثير الثانية والتي كانت سببا في وفاته ذبيح النفس والقلب في غرة رمضان ١٣٨٩ هـ الموافق ١١/١٠/١٩٦٩م. وقد قاوم باكثير تلك الحرب الشعواء التي تعرض لها في السنوات العشر الاخيرة من حياته بالصبر والتحمل والاستمرار في الكتابة لانه يؤمن بقول الحق تبارك وتعالى: «فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فمكث في الارض». وهكذا توفي باكثير تاركاً وراءه العديد من المسرحيات المخطوطة والقصائد المتناثرة في المجلات تنتظر اليد التي تخرجها الى النور.

ونتيجة لهذه الخاتمة المأساوية لحياة باكثير لم تحفظ مؤلفاته المطبوعة بالقبال الدارسين والباحثين وما زالت الكتب التي تناولت حياته واعماله الادبية تعد على الاصابع. ولعل اقدمها نشر - فيما اعلم - كتاب عبدالله الطنطاوي: «دراسة في ادب باكثير» والذي نشر في سوريا عام ١٩٧٧م ثم كتاب د. احمد السعدني: «ادب باكثير المسرحي» الصادر في مصر ١٩٨٠م وكتاب د. عبده بدوي: «باكثير شاعرا غنائيا» والذي صدر بالكويت ١٩٨١م على ان اشمل كتاب صدر حتى الآن تناول حياة وأثار باكثير هو كتاب د. احمد عبدالله السومحي: «علي احمد باكثير: حياته، شعره الوطني والإسلامي والصادر عن نادي جدة الادبي ١٩٨٢م على ان المشكلة التي كانت ومازالت تصادف الباحثين والدارسين في ادب



باكثير

باكثير هو صعوبة الحصول على مؤلفاته لغاد المطبوع منها وعدم طبع المخطوط وقد سعت مطبعة مصر ومكتبتها مؤخرا - مشكورة - لاعادة طبع مؤلفات باكثير لتضع بها الجيل الحاضر كما امتعت بها الجيل السابق حسيما ورد في الكلمة التي ذيلت بها الطبعة الحديثة. كما حاول بعض عشاق ادب باكثير البحث عن كنوزه المخطوطة لمحاولة اخراجها الى النور ونشرها على الناس بعد ان ظلت حبيسة لسنوات.

ولعل من أبرز هؤلاء الباحث الشباب د. محمد ابو بكر حميد الأستاذ المساعد في كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض الذي بدأ سلسلة مقالات عن باكثير منذ مطلع الثمانينيات حيث كان لا يزال طالبا بجامعة الكويت وقد استطاع ان ينشر اول ديوان لباكثير وهو: «أزهار الربا في اشعار الصبا» وهو عبارة عن مجموعة القصائد التي كتبها باكثير قبل مغادرته حضرموت عام ١٩٣٢م، وذلك عن نسخة بخط باكثير نفسه حصل عليها د. حميد من اخيه المرحوم عمر بن احمد باكثير عند زيارته له في حضرموت وقد نشر الديوان عام ١٩٨٧م عن السمار اليمنية للنشر والنوزيع.

ويعد عودة د. حميد من الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على درجتي الماجستير والدكتوراة قدم خلالها دراسات عن مسرح باكثير قدر له زيارة مصر في صيف ١٩٩٠م حيث قابل عمر عثمان العمودي - زوج ربيبة باكثير والأمين على تراثه المخطوط. وقد اطلعه العمودي على مكتبة الاديب الراحل من اوراق خاصة وملفات ومخطوطات ادبية وقد عثر من بينها على ١٠ مسرحيات مطبوعة على الآلة الكاتبة وجاهزة للنشر والطبع. دفع د. حميد منها خمسا لمكتبة مصر ومطبعتها فنشرتها وهي: ١- السوطن الأكبر - مسرحية شعرية. ٢- قضية اهل الربيع. ٣- مأساة زينب. ٤- احلام نابليون. ٥-

حرب البيسوس. وهو يعد الآن لنشر الخمس الآخر وهي: ١- حزام العفة. ٢- عرائس وعمرسان. ٣- فاوست الجديد - شلبية. ٥- الشاعر والربيع اضافة الى مسرحية شعرية مخطوطة بعنوان: «عاشق من حضرموت» ٣- كما عثر على ٣ ترجمات الى الإنجليزية مطبوعة على الآلة الكاتبة من ترجمة باكثير لمسرحياته الشالية: مأساة اوديب، سر شهرزاد، هاروت وهاروت. بالاضافة الى ترجمة لمسرحية «الفلاح الفصيح» ترجمة طالب سوري في جامعة دمشق عام ١٩٦٤م وترجمة بالفرنسية لمسرحية «مأساة اوديب» بخط باكثير كما عثر على اكثر من

٧٠ مسرحية اسلامية قصيرة. واكثر من ٧٠ مسرحية سياسية من فصل واحد كان باكثير قد نشرها في مجلتي «الاخوان المسلمون» و«الدعوة» في اواخر الاربعينيات واولائل الخمسينيات. (٤) هذا بالاضافة الى القصائد المخطوطة والتي تشكل الجزء الأكبر من شعر باكثير وهي تحتاج الى جهد كبير في تحقيق نصوصها وخاصة ان الكثير من هذه النصوص كتب بخط غير واضح مما يدل على ان الشاعر كتبها ولم يعد اليها مرة اخرى للتحصيح والضيض. ٥٠ اما مذكراته الشخصية فهي كثيرة ولعلها تجيء في اكثر من كتاب لانه يبدو واضحا انه كتبها وليس في ذهنه فكرة نشرها.

نداء الى

الادباء والباحثين:

وازاء هذه الثروة الغزيرة التي اصبحت الآن بين يدي د. حميد فان هذه الكنوز بحاجة الى تضامير جهود المخلصين لثراث باكثير وعشاق ادبه ان يتعاونوا على اخراجها الى النور واعتماد الدراسات والبحوث عنها فان هذا العبد مما ينوء به كاهل افراد معدودين بل فرد واحد ولقد اعلن د. حميد انه يضع هذه الكنوز تحت تصرف الدارسين والباحثين الذين يرغبون في خدمة ثراث باكثير: «وانني اوجه النداء للادباء والباحثين ممن يرى في نفسه الرغبة الصادقة في خدمة هذا التراث ان يتصل بي لقد كان باكثير امة وخصه فكيف يقوم بخدمة تراثه فرد او افراد». ٧٠ ولقد قدم د. حميد كل العون للباحثة: بدرية السعيد للعينة بكلية التربية للبلدات بالقصيم خلال اعداد دراستها عن: «فن القصة عند الاديبي الاسلامي علي احمد باكثير - دراسة ادبية نقدية» والتي شالت بها درجة الماجستير في الآداب عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م وقد اشادت الباحثة بتعاونها وجهودها في مقدمة بحثها المذكور.

ان ثراث باكثير ما زال بحاجة الى المزيد من الجهود حتى يخرج الى النور ويصبح في متناول القراء والدارسين. ولا زالت دعوة الدكتور حميد قائمة فهل من مجيب!!

الهوامش:

- ١- د. احمد السعدني: ادب باكثير المسرحي، الجزء الأول: المسرح السياسي، مكتبة الطليعة ١٩٨٠م ص ٦
- ٢- د. نجيب الكيلاني: حول المسرح الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ - ١٩٨٧ ص ٧٥.
- ٣- د. محمد ابو بكر حميد: قصتي مع ثراث باكثير، الحلقة ٧ البلاد العدد ١٠٠٦٧ الخميس ١٢ رجب ١٤١٢ هـ الموافق ١٦ - ١ - ١٩٩٢م.
- ٤- د. محمد ابو بكر حميد: قصتي مع ثراث باكثير الحلقة ٨ البلاد العدد ١٠٠٧٤ الخميس ١٩ رجب ١٤١٢ هـ الموافق ٢٧/١/١٩٩٢م.
- ٥ و ٦- د. محمد ابو بكر حميد: قصتي مع ثراث باكثير، الحلقة ١٢ البلاد: العدد ١٠٠٩٨ الخميس ١٧ شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ٢٠/٢/١٩٩٢م.